

عيونُ ماما

حنان الدرقاوي

المغرب

عليهما ظهر المهرز. في زمن آخر رفضت الجدة تزويجها من مهندس أسمر. من أجل إغاظة جدتي كنت أقول لها أن الدرقاوة ليسوا من آيت مرغاد بل لا شجرة عائلة لدينا وبالكاد ينتهي نسبنا إلى أمكون بقرية إملشيل وهم ليسوا عرقا ربيعيا. تغضب جدتي وتزجر وتلعنني بكل الأسماء. تعابرنني بأسنانها البارزة وبلساني المشحود كسكين.

الجدة لم تفهم ماتفعلة العمة كل يوم في مدينة الرباط، لكنها أدركت أن ما تفعله سيغنيها من حمل نظاراتها الطبية.

الجدة دائما تكرر:

— لو لم تعدها أمك للدراسة لكنت متزوجة الآن وأمالك زينة من الأطفال وكانوا يركضون خلفها الآن. ماذا جنبنا من الدراسة؟ ست سنوات بفاس ولا عمل ولا زوج وأتت الدراسة على كل لحمها وشحمها. ابنتي كانت سميئة وبيضاء. عادت نحيفة وصفراء من تلك المدينة اللعينة.

تلتفت إلي وتستطرد:

— هذا كله بسبب أمك التي أعادت تسجيلها في المدرسة. أربع سنوات من الدراسة كافية لبنات.

— لكن جدتي التعليم شيء مهم.

— ما أهميتها. ماذا جنبت أنت من

الدراسة غير حب مجرم.

أنصرف عنها حين تصل إلى هذه النقطة والتفت للعمة ماما

— هل أنت متأكدة من وصفة

الطبيب؟ غير معقول كل هذا الوقت

في تجريب العدسات اللاصقة.

أجاب بصفاء نادر:

— عند الطبيب ارتبكت. أعتقد أنه

وصف لي عدسات لا تليق بي.

أجهشت بالبكاء

— اختلطت الحروف علي وأربكني

بفرنسيته، لو كان قد تحدث بالعربية

لكنت فهمت كل شيء. ولو كانت

الحروف الأوتوماتيكية بالعربية

لفهمت.

— توقفي عن البكاء وفكري في أمر

مواجهة أبي بالحقيقة.

ضاعت الألف وخمسائة درهم

وأخي سينتظر ثلاثة عشر عاما أخرى

قبل تغيير نظاراته. ستحمل القرية

ماما نظاراتها الطبية ذات الزجاج

السميك إياه ولن يلتفت إليها أحد وقد

تندم جدتي على عدم تزويجها من

مهندس أسمر البشرية.

أجل أوراق إدارية أو عمال بناء يقطنون معنا لحين إيجاد سكن في ورشات عملهم. كان علينا نحن الأطفال أن نجد وقتنا لطفولتنا وسط هذا الحشد الهائل من الضيوف والزوار والمستقرين. بعض الزوار يجلبون السكر الذي على شكل هرم والمغفوف بغلاف أزرق والبعض الآخر يأتي بأياد فارغة لكن لم يحدث أن احضر أحد بعض الضيوف هدية للأطفال.. لكن حدث أن جاء يقودهم خالي الذي لقب نفسه بجو وانتهى سكرًا في مدينة بنجوب فرنسا، أحضروا دمية لي ولأختي وهي الدمية الوحيدة التي أنكرها في حياتي وهذا ترك لدي تعلقا بالدمى ولازلت أواظب على شرائها واللعب بها حتى الآن وهو شيء محرج لأن غرفة نومي تعج بدمى من كل الأحجام.

أعود إلى القرية ماما فقدنا وأظت على زيارة جانو لتجريب عدساتها الطبية وفي كل مرة كانت تشعر بالدوار وبالذوخة وتتقي في الحافلة أو البيت بعد عودتها من رحلاتها المكوكية بين الرباط وتمازة.

مضى شهران وهي تجرب وكل يوم يسألها

أبي:

— أين عدساتك اللاصقة؟

— لا زلت أجربها لكنها لا تناسبني.

— يغضب أبي ويهدد بكسر الصينية،

— كيف لا تناسبك؟ دفعت فيها ألفي درهم

ولا تناسبك؟

— لا عليك يا أخي البائع قال إن هذا طبيعى

في مرحلة التجريب.

ينصرف أبي وأفكر في شأن قريبتنا هذه،

شخصية غريبة الأطوار، عاشت بيننا

طويلا منذ أن كانت في الابتدائية. كانت

أمي من أعادها للمدرسة بعد أن سحبها

عمي الكبر وهو الزوج الثاني لجدتي. كان

شيخا صوفيا ولم يكن يرى بدا للدراسة

وللتلقيح وأشياء أخرى من الحياة

المعاصرة. الحقيقة أنها عاشت معنا زما

طويلا دون أن نعرفها وأن نعرفنا. كان لها

عالمها الخاص وعالمنا الخاص.

في بيتنا كان لكل واحد عالمه الخاص. أبي

مشغول بعمله وبرفاقه، أمي مشغولة

بالمطبخ والضيوف وأوامر أبي التي

لا تنتهي والأطفال أقصد أخوتي وأنا تكبر

كما اتفق وسط الزعيق المتواصل.

مضت ثلاثة أشهر وماما لا زالت تدرس

عينها خلف الزجاج السميك لنظارتها

الطبية التي تزيلها بمجرد نزولها من درج

البيت لتبدو أجمل. الحقيقة لا شيء

سيجعلها تبدو جميلة. يجب تغيير وجهها

تماما ونحت جسدها بشكل آخر. الوحيدة

التي كانت تجدها جميلة هي جدتي التي

كانت تشيد بشعرها الجميل، ببياضها

وبحلاوة ساقبيها المتلثتين قبل أن يأتي

يعرف أنني لا أتوفر على سرير بل أنام مع إخوتي في غرفة الجلوس وهي غرفة الأكل وغرفة التلفزيون في نفس الآن.

ارتدى أبي أحسن بذلاته، حلق ذقنه وتعطر وقال للقرية ماما أن تنهيا وأن تجمع شعرها الأسود الطويل. أبي يخاف

من شعر النساء، لهذا أمر أمي بقص شعرها الطويل الذي كان يصل إلى ركبتها حين تزوجته، كما كان يأخذنا عند الكوافيرة لنقص شعورنا كالذكور أختي وأنا. أحتفظ

الآن بشعري طويلا نكاية بابي.

ذهب أبي ماما عند جانو اليهودي بائع النظارات في شارع محمد الخامس بالرباط. دفع الألفي وخمسائة درهم ثمن العدسات اللاصقة.

قامت بأول تجريب للعدسات، تجريب دام نصف ساعة أحست خلالها العمة بالدوار وبدوخة شديدة كما تقيأت في الحافلة رقم 17 التي عادت بها من الرباط إلى تمازة

حيث نقتل.

أبي لا يملك سيارة رغم وظيفته المرموقة. الحقيقة أن أبي يبذر أمواله في المقاهي

وشراء الكتب والجرائد وفي الشرب وفي استضافة أصدقائه العديدين حتى أن بيتنا

يشبه الزاوية أو السوق بمعنى أصح. أبي يفضل اسم الزاوية.

في الزاوية الدرقاوية أقصد بيتنا يمكنك أن تلتقي رفاقا يساريين وأخوات مسلمات

يزرن أمي أو قريبا مريضا جاء للاستشفاء أو أفراد عائلة بعيدين أتوا إلى العاصمة من

أضعها قرب سريري قبل النوم. المعلم لا

صباحا ويعلو الزعيق لأن لا أحد يجد نظاراته. ذات يوم ذهبت إلى المدرسة وفي

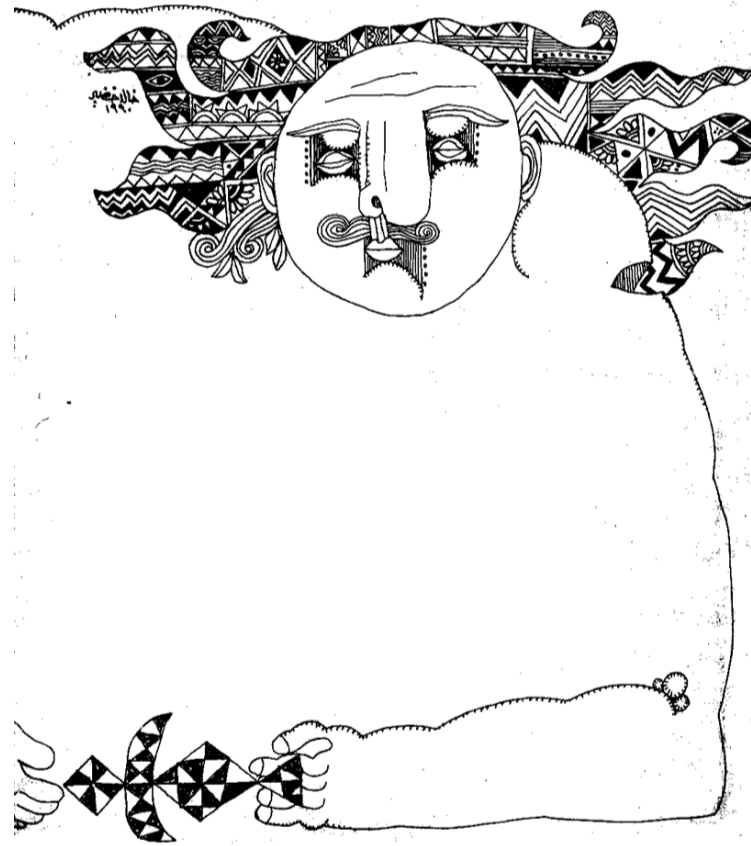
محفظتي نظارات أخي الصغير فقد وجدت صعوبة كبيرة في فك طلاس السبورة.

نهرني المعلم وهددني بالفلقة لكنني قلت بلساني السليط جدتي كانت دائما تعابرنني

بلساني السليط قلت للمعلم إنني سأشكوه إلى أبي الذي كان مفتشا. خاف المعلم

ونصحني بحمل نظاراتي على الدوام وأن

أضعها قرب سريري قبل النوم. المعلم لا



نحاتُ الضوء

سعد جاسم

اوتواو

3 . روحُ العالم

ويرى بأعماقه

كل مايريدُ أن يراه

هذه الروحُ

لم تُخلقْ

لتكونَ رهنَ إشارةِ الفمِ

هذه الروحُ

روحُ العالمِ.

4 . الرائي

ببصيرتهِ يكتشفُ العالمَ

ومن جنبينه يطلعُ الضوءُ

يكنُ فيها سرُّ الكتابةِ

ولذَّةُ الطيرانِ

2 . نحاتُ الضوءِ

ولم أقلُ في حضرتك

أيَّةُ كلمةٍ

كنتُ أنحتُ الضوءَ

وأشرقُ بصمَّتِي

1 . أسرار

يسطعُ الضوءُ من أصابعي

فأطلقهُ طائراً نورانياً

يخطفُ الأبصارَ

ويجعلُ الأرواحَ تترنمُ :

سبحانَ الذي أودعَ سرَّهُ

في ريشةِ بيضاءِ



تظيرُ بي نحوَ الأبديةِ